

﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ
شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

[التغابن: 17 - 18]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ بِالْإِنْفَاقِ، وَرَهَّبَ وَحَذَّرَ مِنْ ضَدِّهِ
عَلَى وَجْهِ أَعْمَ رَغَبٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فِي أَمْرِ الْإِنْفَاقِ بِبَذْلِ الْمَالِ مِنْ بَابِ
التَّأَكِيدِ عَلَى فَضِيلَةِ الْإِنْفَاقِ؛ لَصُعُوبَتِهِ عَلَى النَّفْسِ؛ لِحِرْصِهَا عَلَى
كَنْزِ الْمَالِ وَادِّخَارِهِ.

الترغيب في
الإنفاق بتعظيم
الثواب

ومنها: لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِالْإِنْفَاقِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ عَلَيْهَا أَكَّدَهُ بِقَوْلِهِ:
﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ تَضْعِيفَ الْقَرْضِ وَغُفْرَانَ
الدُّنُوبِ^(١)؛ فَكَانَتِ الْمُنَاسَبَةُ قَائِمَةً بَيْنَ الْآيَةِ وَمَا قَبْلُهَا؛ تَحْذِيرًا مِنْ
الشُّحِّ وَدَعْوَةً لِلْإِنْفَاقِ.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿تُقْرِضُوا﴾: (قرض) أصلٌ صحيح، وهو يدلُّ على القطع.
يقال: قرضتُ الشيءَ بالمقراض. والقرض: ما تعطيه الإنسانَ من
مالِكَ لتُقَضَاهُ⁽²⁾، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
فِيُضْعِفُهُ لَهُ﴾ [البقرة: 245]، والقرض: اسمٌ لكلِّ ما يُلْتَمَسُ عَلَيْهِ الْجَزَاءُ
مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ⁽³⁾.

(2) ﴿يُضْعِفُهُ﴾: (ضعف) أصلان متباينان، يدلُّ أحدهما على
خلاف القوة، ويدلُّ الآخر على أن يَزَادَ الشَّيْءُ مِثْلَهُ. فالأوَّلُ: الضَّعْفُ
وَالضُّعْفُ، وهو خلاف القوة. يقال: ضَعُفَ يَضْعُفُ، وَرَجُلٌ ضَعِيفٌ،

(1) أبو حيان، البحر للحيط: 193/10.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قرض).

(3) الهروي، تهذيب اللغة: (قرض).

وقوم ضُعفاءٌ وضِعافٌ. وأمَّا الأصل الآخر فقال الخليل: أضعفتُ الشيءَ إضعافًا، وضعفتهُ تضييْفًا، وضاعفتهُ مُضاعفةً، وهو أن يُزادَ على أصل الشيء فيُجعلُ مثلين أو أكثر⁽¹⁾، والمعنى في الآية على الوجه الثاني من المضاعفة والزيادة.

(3) ﴿شُكْرٌ﴾: الشُّكْر: الثَّناء على الإنسان بمَعروفٍ يوليكَه⁽²⁾، وقيل: الشُّكْر تصوُّر النِّعمة وإظهارها، فالشُّكْر على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه، والشُّكْر ثلاثة أَضْرِبٍ: شُكْرُ القلب، وهو تصوُّر النِّعمة. وشُكْرُ اللِّسان، وهو الثَّناء على المنعم. وشُكْرُ سائرِ الجوارح، وهو مكافأة النِّعمة بقدر استحقاقه، وإذا وصف الله بالشُّكْر في قوله: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ فإنَّما يُعنى به إنعامه على عباده، وجزاؤه بما أقاموه من العبادة⁽³⁾.

(4) ﴿حَلِيمٌ﴾: الحِلْمُ: ضبطُ النَّفس والطَّبع عن هَيْجَانِ الغضب⁽⁴⁾، والحِلْمُ الأناة والعقل، وأصل الحِلْم في العربيَّة: اللِّينُ، ورجُلٌ حَلِيمٌ: أيٌّ لِينٌ في معاملته في الجزاء على السيِّئة بالأناة⁽⁵⁾، وفي الحِلْم صفح وستر⁽⁶⁾، والحِلْم من الله تعالى عن العصاة بعدم تعجيل معاقبتهم في الدُّنيا⁽⁷⁾.

(5) ﴿الْعَزِيزُ﴾: العِزَّةُ: حالةٌ مانعةٌ للإنسان من أن يُغلب. من قولهم: أرضٌ عَزَازٌ؛ أي: صُلبة. قال تعالى: ﴿أَيَّبَتُونَكُمْ عِنْدَهُمْ أَلْعِزَّةُ فَإِنَّ أَلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: 139]. والعَزِيزُ: الَّذِي يَقَهَّرُ وَلَا يَقَهَّرُ. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: 26]، ﴿يَتَأَيَّهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا﴾ [يوسف: 88]⁽⁸⁾، فالعَزِيز هنا: ذو القُوَّة والجبروت، الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ وَلَا يَقَهَّرُهُ.

(6) ﴿الْحَكِيمُ﴾: (حَكَم) أصلٌ واحد، وهو المنع. وأوَّل ذلك الحُكْم، وهو المنع من الظُّلم⁽⁹⁾ والحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام⁽¹⁰⁾، ومن

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضعف).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شكر).

(3) الراغب، المفردات: (شكر).

(4) الراغب، المفردات: (حلم).

(5) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 200.

(6) الفيومي، للصبح المنير: (حلم).

(7) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 199.

(8) الراغب، المفردات: (عز).

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حكم).

(10) الراغب، المفردات: (حكم).

أسمائه تعالى: الحَكَم، والحكيم، والحاكم، وهو أحكم الحاكمين،
 ﷺ، قال ابن الأثير: "الحكيم فَعِيلٌ بمعنى فاعل، أو هو الذي يحكم
 الأشياء وَيُتَّقِنُهَا، فهو بمعنى مُفْعِلٍ. وقيل: الحكيم ذو الحكمة"⁽¹⁾.
✽ الْمَعْنَى الإجمالي:

يقول الله تعالى في الآيتين: إن تنفقوا في طاعة الله متقربين إليه
 بإخلاصٍ وطيبِ نفسٍ يضاعف لكم ذلك الإنفاق؛ الحسنَةُ بعشرة
 أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ويستر لكم ما فرط من زلاتكم. ثم بين
 علَّة المضاعفة ورغب في النَّفَقَة فقال: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾، فيثيب
 مَنْ أطاعه بأضعاف مضاعفة، ولا يعاجل من عصاه بعقوبته على
 كثرة الذُّنُوب والخطايا. ثم ذكر ما يزيد في التَّوْبَة في النَّفَقَة
 أيضًا فقال: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ أي: هو العليم
 بما غاب عنكم وبما تشهدونه، فكلُّ ما تعملونه محفوظٌ لديه في
 أم الكتاب، لا يعزُّب عنه مثقالُ ذرَّةٍ، وسيُثَبِّتُكم عليه ويجازيكم به
 أحسنَ الجزاء، وهو ذو العِزَّة والقدرة، النَّافِذُ الإرادة، الحكيمُ في
 تدبير خلقه على ما يعلمُ من المصلحة⁽²⁾.

الدَّعْوَةُ إلى
 الإنفاق والجزاء
 المترتب عليه

✽ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

سرُّ فصلٍ جملة ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ﴾ عمَّا قبلها:

فُصِّلَت هذه الجملة عمَّا قبلها؛ لأنها وقعت جوابًا لسؤالٍ يَرِدُ في
 خاطر؛ كأنَّ سائلًا سأل: ما قيمةُ الإقراض والإنفاق؟ فكان الجوابُ
 في هذه الجملة ببيان ما أعدَّه الله من الثَّواب، وذلك بمضاعفة
 الحسنات وغفران الذُّنُوب.

مضاعفةُ الجزاءِ
 أساسه الإنفاقُ
 والوقاية من
 الشَّحِّ

بلاغة الاستهلال بالجملة الشرطيَّة:

في الاستهلال بالجملة الشرطيَّة تحضيضٌ وحثٌّ على الإنفاق في

(1) الزبيدي، تاج العروس: (حكم).

(2) المراغي، تفسير المراغي: 132 / 28.

التَّحْضِيضُ
وَالْحَثُّ عَلَى
الْإِنْفَاقِ

سبيل الله، وإِعْلَاءٌ لِّشَأْنِ الْمُنْفِقِ، وَرَفْعٌ لِّقَدْرِهِ، حَتَّى لِكَأَنَّهُ يَقِفُ بَيْنَ يَدَيْ خَالِقِهِ وَالْمَنْعَمِ عَلَيْهِ مَوْقِفَ الْمُقْرِضِ، الدَّائِنُ⁽¹⁾، وَفِيهِ تَهْيِيجٌ لِأَهْلِ التَّقْوَى بِضُرُورَةِ الْإِقْرَاضِ، وَهُوَ أَسْلُوبٌ مِنَ الْكَلَامِ يَرَادُ بِهِ اسْتِدْعَاءُ أَقْصَى طَاقَاتِ الْمُخَاطَبِ، وَاسْتِنْفَارُ كُلِّ مَا تَجَبَّشَ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ عَزَمٍ؛ لِتَحْقِيقِ مَا تَطْلُبُهُ مِنْهُ، وَيَشْعُرُ الْمُؤْمِنُ بِأَنَّهُ شَدِيدُ الْقَرَبِ مِنْ رَبِّهِ، وَيَجْعَلُ حَبْلَ الْمَوَدَّةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْلَاهُ قَوِيًّا مُتِينًا⁽²⁾.

سُرُّ التَّعْبِيرِ بـ ﴿إِنْ﴾ دُونَ (إِذَا):

آثَرَ الْقُرْآنُ التَّعْبِيرَ بـ ﴿إِنْ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا﴾ دُونَ (إِذَا)؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى قِلَّةِ الْمُقْرِضِينَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ عَظَمَةِ الْجَزَاءِ، وَفِي دَلَالَةِ الْقِلَّةِ إِمَّا حُجٌّ إِلَى عَظَمَةِ مَنْ يُنْفِقُ وَأَنَّهُ ذُو قَدَرٍ وَمَكَانَةٍ وَشَأْنٍ.

دَلَالَةُ الْخُطَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا﴾:

فِي الْخُطَابِ الْمُبَاشَرِ بِوَاوِ الْجَمَاعَةِ ﴿تُقْرِضُوا﴾ إِيْمَاءٌ إِلَى جَلَالَةِ شَأْنٍ مَنْ يُخَاطَبُونَ، وَدَرَجَتِهِمْ الْعَظِيمَةِ؛ فَهَمُّ أَهْلِ لُخْطَابِ اللَّهِ؛ فَفِي الْخُطَابِ إِذْنٌ تَشْرِيفٌ وَتَكْرِيمٌ لَهُمْ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَعِيَّةِ اللَّهِ بِالْحَثِّ وَالْإِرْشَادِ عَلَى الْإِقْرَاضِ وَالْإِنْفَاقِ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بـ ﴿تُقْرِضُوا﴾:

آثَرَ الْقُرْآنُ التَّعْبِيرَ بِالْقَرْضِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا﴾ مِنْ بَابِ التَّلَطُّفِ فِي الْاسْتِدْعَاءِ⁽³⁾ إِلَى أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ بِالطَّفِ الْكَلَامِ وَأَبْلَغُهُ، وَقَدْ دَلَّ الْفِعْلُ ﴿تُقْرِضُوا﴾ عَلَى الْفِعْلِ الْحَسَنِ؛ مِنْ اتِّبَاعِ أَمْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ مَنْ قَدَّمَ لَهُ خَيْرًا: قَدْ أَحْسَنْتَ قَرْضِي، وَقَدْ أَقْرَضْتَنِي قَرْضًا حَسَنًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ لَا

تَشْرِيفُ اللَّهِ
وَتَكْرِيمُهُ
لِلْمُقْرِضِينَ

التَّلَطُّفُ فِي
الْاسْتِدْعَاءِ
لِلْأَعْمَالِ الْبِرِّ

(1) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14/ 997.

(2) إبراهيم عوض، عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين، ص: 63.

(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 551.

يَسْتَقْرِضُ مِنْ عَوَزٍ⁽¹⁾، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ خِيَارَ عِبَادِهِ، فَعَبَّرَ بِالْقَرْضِ عَنْ
الْفِعْلِ الْحَسَنِ إِشَارَةً إِلَى اتِّسَاعِ مَعْنَاهُ، فَكُلُّ فِعْلٍ يُرْضِي اللَّهَ وَيَنْفَعُ
عِبَادَهُ هُوَ قَرْضٌ.

وَمِمَّا يُذَكِّرُ فِي سِرِّ التَّعْبِيرِ بِالْقَرْضِ الدَّعْوَةُ إِلَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ
لِاسْتِحْقَاقِ الثَّوَابِ؛ فَكَمَا أَنَّ الْقَرْضَ لَا يَضِيعُ عِنْدَ الْمُقْتَرِضِ؛ لِأَنَّ
أَدَاءَهُ وَاجِبٌ، كَذَلِكَ الثَّوَابُ الْمُتَرَتِّبُ عَلَى ذَلِكَ مُضْمُونٌ وَوَاصِلٌ إِلَى
صَاحِبِهِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْكَرِيمِ.

دلالة التعبير بالمضارع «تُقْرِضُوا»:

فِي التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ «تُقْرِضُوا» إِشَارَةٌ إِلَى أَهَمِّيَّةِ تَجَدُّدِ
الْقَرْضِ وَاسْتِمْرَارِهِ وَاسْتِحْضَارِ صَوْرَتِهِ فِي النُّفُوسِ، فَلَا يَكْفِي أَنْ
يَكُونَ مَرَّةً، وَإِنَّمَا يَكُونُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، بَحِثْ يُعْرِفُ الْمُسْلِمُ بِهَذِهِ السَّمَةِ
الطَّيِّبَةِ مُبْتَغِيًا بِذَلِكَ رِضْوَانَ اللَّهِ، وَمُضَاعَفَةً الْحَسَنَاتِ، وَفِي الْفِعْلِ
عُمُومُ الْمَقْصِدِ، إِذْ يَصَحُّ أَنْ يَتَوَجَّهَ الْخُطَابُ إِلَى الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ، إِلَى
الْأَغْنِيَاءِ فِي بَذْلِ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَى الْفُقَرَاءِ فِي إِخْلَاءِ أَيَّامِهِمْ وَأَوْقَاتِهِمْ
عَنْ مَرَادَاتِهِمْ وَإِثَارِ مَرَادِ الْحَقِّ عَلَى مَرَادِ أَنْفُسِهِمْ، فَالْغَنِيُّ يُقَالُ لَهُ:
آثَرَ عَلَى مَرَادِكَ فِي مَالِكَ وَغَيْرِهِ، وَالْفَقِيرُ يُقَالُ لَهُ: آثَرَ حُكْمِي فِي
نَفْسِكَ وَقَلْبِكَ وَوَقْتِكَ⁽²⁾.

بلاغة الاستعارة في فعل الإقراض:

تَتِمَّتْ بِلَاغَةُ الاسْتِعَارَةِ فِي الْفِعْلِ «تُقْرِضُوا» فِي أَنَّ الْقَرْضَ لُغَةً:
الْقَطْعُ⁽³⁾، وَالْقَرْضُ أَنْ تَعْطِيَ شَيْئًا لِيَعُودَ إِلَيْكَ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا الْبَذْلُ
وَالْإِنْفَاقُ، شَبَّهَ حَالِ الْمُؤْمِنِ فِي تَقْدِيمِهِ الْعَمَلَ الصَّالِحَ تَوْفُّعًا لثَوَابِهِ
مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِحَالِ الْمُقْرِضِ فِي تَقْدِيمِهِ الْمَالَ وَإِعْطَائِهِ أَحَدًا بِجَامِعِ

المؤمن دائم
الإقراض لمولاه

تَوْفُّعُ الثَّوَابِ
مُقَابِلُ الْإِعْطَاءِ

(1) البرقوقى، الذخائر والعبقريات: 1/ 176.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 135.

(3) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 179.

عودة المال إلى المقرض على سبيل الاستعارة التصريحية التَّبعية⁽¹⁾، ويجوز أن تكون الاستعارة مكنية أيضاً⁽²⁾، وعلى كل يكون الغرض هو التَّغيبُ بالإنفاق في وجوه الخير.

دلالة التصريح باسم الجلالة «الله»:

في ذكر اسم الجلالة «الله» تربية للمهابة في النفس، وطمأنة مَنْ يبذل القرض بأنَّ ثوابه ثابتٌ لن يضيع؛ لأنَّ الَّذِي يُقرضُ النَّاسَ كأنَّه أقرضَ الله، وإقراض الله تعالى مثلاً لتقديم العمل العاجل الطَّائِل للثَّواب الآجل⁽³⁾، ويجوز أن يكون على حذفٍ مضاف؛ أي: إن تقرضوا عبادَ الله، فكان في ذكر لفظة «الله» والمرادُ عبادةُ الفقراء سترٌ لهم، وإخفاءٌ لحالهم مع دلالة المعية الإلهية للفقراء والمساكين.

سرُّ تسمية الصدقة «قرضاً»:

سُمِّيَتِ الصَّدقة قرضاً؛ لأنَّه وعدٌ بإعادتها مضاعفةً، وذلك لأنَّ المقرض يعيدُ ما اقترضَ؛ لتهوينها على النفس، وللتَّغيب فيها؛ فإنَّ النَّفس يسهلُ عليها الإقراض أكثرَ من إخراج المال من غير إعادة⁽⁴⁾، كما أنَّ القرض لا يضيعُ عند الله؛ لأنَّه يجبُ أدائه، ولا يجوز الإخلال به؛ فهو يوقِّعُ في يد الغنيِّ الَّذي له ملك السماوات والأرض، فكان "تأكيداً لاستحقاق الثَّواب به؛ إذ لا يكون قرضاً إلاَّ والعوضُ مستحقٌّ به"⁽⁵⁾.

ويضاف إلى ما سبق: أنَّ في القرض دلالةً على المحبة؛ لأنَّه لا يُقرضُكَ إلاَّ مُحِبٌّ، فكان في ذلك حثٌّ على البذل⁽⁶⁾، والصَّورة الحسية للقرض هنا لا تعبَّرُ عن نقلِ المعنى الذهنيِّ فقط، بل توحى

(1) الألويسي، روح المعاني: 14 / 174.

(2) الشهاب، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: 8 / 203.

(3) الألويسي، روح المعاني: 1 / 554.

(4) فاضل السامرائي، على طريق التفسير البياني: 1 / 354.

(5) الجصاص، أحكام القرآن: 1 / 547.

(6) إبراهيم الهدهد، موسوعة الفروق اللغوية واللمحات البلاغية: 2 / 650.

تربية المهابة
و ضمان ثبات
الأجر

القرض وعد
بالإعادة

بزيادته ونمائه أيضًا. وذلك من خلال اللّمسات التعبيرية والنفسية في تصوير المعنى الذهني، فالإنفاق قرضٌ لله، وهو تعبيرٌ لطيف يوحي للإنسان بأنه يملك الأموال وينفقها، بل ويقرضها لربه قرضًا حسنًا ناميًا⁽¹⁾.

نكتة وصف القرض بالحسن:

دلّ وصف القرض بالحسن في قوله: ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ على أنه هو ما توافرت فيه أمورٌ،

منها في المقرض، وهو: الإخلاص، وكونه عن طيب نفس وبشاشة وجه من دون منٍّ أو تكديرٍ، مع قصد وجه الخير ورضا الله.

ومنها في المال، وهو: أن يكون حلالًا طيبًا ومن كريم المال.

ومنها الجهة التي يُنفق فيها، وهي: ما كان أشدها حاجةً وأكثرها نفعًا للمسلمين⁽²⁾.

وقد ذكر الألوسي صفات عشرًا للقرض الحسن فقال: "ما يجمع عشرَ صفات: أن يكون من الحلال؛ فإن الله تعالى طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا، وأن يكون من أكرم ما يملكه المرء، وأن يكون المرء صحيح شحيح يأمل العيش ويخشى الفقر، وأن يضعه في الأحوج الأولى، وأن يكتّم ذلك، وأن لا يتبعه بالمن والأذى، وأن يقصد به وجه الله تعالى، وأن يستحقّر ما يعطي وإن كثر، وأن يكون من أحب أمواله إليه، وأن يتوخّى في إيصاله للفقير ما هو أسرُّ لديه من الوجوه كحمله إلى بيته"⁽³⁾.

علة التعبير باسم المصدر ﴿قَرْضًا﴾:

في التعبير باسم المصدر ﴿قَرْضًا﴾ لا المصدر (إقراضًا) ثلاث علل:

(1) عبد السلام الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ص: 114.

(2) فاضل السامرائي، على طريق التفسير البياني: 1/ 354.

(3) الألوسي، روح المعاني: 14/ 173.

الدلالة على
تشریف القرض
وكونه عن طيب
نفس

الجمع بين
القرض وعملية
الإقراض

الأولى: أَنَّ العرب تُقيم الاسمَ مُقامَ المصدر، كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا﴾ [البقرة: 245]، ولم يقل: إقراضًا⁽¹⁾.

الثانية: إرادة الجمع بين المعنيين بالمصدر واسمه، فمعنى القرض في اللغة المال، والإقراض إذن القرض، فالآية تحتل المعنيين، فلو كان القصد الإقراض لكان إعرابها مفعولاً مطلقاً، ولو كان المقصود المال لكان إعرابها مفعولاً به. والمعنى المراد من الآية الكريمة: (إِنَّ تَقْرَضُوا اللَّهَ إِقْرَاضًا حَسَنًا؛ أي: خالَصَ النِّيَّةَ لِلَّهِ، مُحْتَسِبِينَ الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ، وَمَالًا حَسَنًا؛ أي: طَيِّبًا حَلَالًا)، فهناك إذن إقراضٌ حسنٌ ومالٌ حسن، ولما قال تعالى: ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ جمع بين الأمرين معاً: إقراضاً حسنًا، ومالاً حلالاً طيباً⁽²⁾، فكان التعبير باسم المصدر هو الأنجع والأوفق بدلالة الآية.

الثالثة: بيان عادة القرآن الراسخة، فالتعبير القرآني لم يوظف الإقراض بالمصدر في سياقاته، إنما وظَّفَ القرض في جميعها، وهذا واضحٌ بالنظر إلى الآيات الواردة في القرآن: [البقرة: 245]، [الثالثة: 12]، [الحديد: 11]، [الحديد: 18]، [التغابن: 17]، [الزَّمَل: 20].

دلالة الجنس الاشتقاقي:

الجنسُ الاشتقاقي بين ﴿نُقْرِضُوا﴾ و﴿قَرْضًا﴾ يعطي الكلامَ جَرَسًا تستعذُّبه النَّفْسُ، وَيُؤَثِّرُ في المتلقِّي، فهو من البديع، غيرَ أَنَّهُ لَا يُسْتَعَذَّبُ إِلَّا إذا كان خادماً للمعنى، وكلُّ جناسات القرآن خادمةٌ للمعنى المراد، والمراد هنا مزيدُ التَّأَكِيدِ على حَثِّ النَّاسِ على إخلاص النِّيَّةِ، وتحرِّي الحلال فيما ينفقون؛ لأنَّ المالَ الحرام والمباهاة والرياء من مفسدات الأعمال⁽³⁾، وفي

استعذاب
الإنفاق وسعادة
الفقير

(1) ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص: 126.

(2) فاضل السامرائي، أسرار البيان في التعبير القرآني: 1/ 113.

(3) إبراهيم الهدهد وآخرون، موسوعة الفروق اللغوية: 2/ 652.

الاشتقاق بتكرارِ مادَّةِ (قرض) مفتاحُ سعادةٍ للفقير بزوال كربه وضيق نفسه.

الموقع النحوي لقوله: ﴿يُضْعِفُهُ﴾:

الفعلُ ﴿يُضْعِفُهُ﴾ وقع مجزوماً في جواب الشرط ﴿إِنْ تُقْرِضُوا﴾، وفيه دعوةٌ لمحاربة الشُّحِّ والبخل؛ لأنَّه لما كان شُحُّ النَّفْسِ أمراً مُستحكماً في الطَّبيعة البشريَّة جاء بالجواب ﴿يُضْعِفُهُ﴾ لإعظام التَّريغيب في محاربة الشُّحِّ بنيل المضاعفة في الثَّواب والأجر، وذلك "بأنَّ رَبَّتْ عليه الرِّيحُ في الدُّنيا والغفران في الآخرة"⁽¹⁾.

دلالة التَّعبير بصيغة المفاعلة في الفعل: ﴿يُضْعِفُهُ﴾:

من دلالات المفاعلة المشاركة، والفعلُ (يضعف) على وزن ﴿فَاعِلٌ﴾؛ لكنَّ المفاعلة هنا غيرُ مقصودة؛ إذ لا مشاركة، وإنَّما المقصودُ المبالغةُ المشيرة إلى المغالبة⁽²⁾، وفي الفعل مجازٌ مرسلٌ، علاقته السَّببيَّة؛ لأنَّ القرضَ سبب المضاعفة⁽³⁾.

بلادة توجيهِ القراءات القرآنيَّة المتواترة في ﴿يُضْعِفُهُ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ وأبو جعفرٍ ويعقوبٌ مشدَّدةً: ﴿يُضْعِفُهُ﴾، وقرأ الباقرُ بألفٍ: ﴿يُضْعِفُهُ لَكُمْ﴾⁽⁴⁾؛ فقراءة المفاعلة ﴿يُضْعِفُهُ﴾ لمن بذلَ المالَ كلَّه أو جُلَّه، وأخلصه لله تعالى مع تحقُّقِ كاملِ شروط الإخلاص، فهذا يضعفُ له بالواحد عشرًا إلى سبعمائة ضعفٍ، أمَّا قراءة ﴿يُضْعِفُهُ﴾؛ أي: يجعله ضعفين فقط فذلك من فضل الله لمن أنفق وبذل لكن اختلَّت شروط الإخلاص، أو أقرض بيسير المال لا كثيره، فهذا يناسبه دلالة (ضعف) الدالَّة على التَّكثير، لكنَّه التَّكثير الَّذي لا يبلغ حدَّ المبالغة كما في ﴿يُضْعِفُهُ﴾،

محاربة الشُّحِّ
والتَّريغيب في
الإنفاق

دلالة المبالغة
مع السَّببيَّة في
المجاز

الإشارة لمن بذل
المالَ كلَّه أو
جُلَّه مع كمال
الإخلاص

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20 / 135.

(2) الألوسي، روح المعاني: 1 / 554.

(3) الألوسي، روح المعاني: 1 / 554.

(4) ابن الجزي، النشر: 2 / 228.

فتكون القراءتان مُسْتَقْصِيَتَيْنِ مقاماتِ الخطابِ مع تكثيفِ المعاني ووجازة العبارة.

دلالة اللام في ﴿لَكُمْ﴾:

التَّخْصِصُ
بتعجيل المسرة

آثَرَ النَّظْمُ الْقِرْآنِيَّ التَّعْبِيرَ بِاللَّامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَكُمْ﴾؛ لَتَعْدُدِ معانيها؛ فتكونُ لِلْمَلِكِ والاختصاص، ولَا مَلِكٌ هِيَ لَامُ الْإِضَافَةِ والاستحقاق⁽¹⁾، وَاللَّامُ أَيْضًا دَالَّةٌ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ، وَهُوَ مَعْنَى لَا يَفَارِقُهَا، وَكُلُّ الْمَعْنَى رَاجِعَةٌ إِلَيْهِ⁽²⁾.

وَمِمَّا يُذَكِّرُ فِي دَلَالَةِ اللَّامِ إِدْخَالَ الْبَشَرِ وَالسَّعَادَةِ عَلَى قَلْبِ الْمُنْفِقِ بِتَعْجِيلِ الْمَسْرَةِ، وَعَدَمِ إِشْرَاقِ غَيْرِهِ مَعَهُ فِي الثَّوَابِ؛ تَمَيِّزًا لَهُ؛ لِمَسَارَعَتِهِ فِي الْإِقْرَاضِ وَالْإِنْفَاقِ.

نكتة عطف (المغفرة) على (المضاعفة):

بركة الإنفاق
ممتدة
للمضاعفة
والغفران

عُطِفَتْ (المغفرة) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ﴾ عَلَى (المضاعفة) فِي قَوْلِهِ: ﴿يُضَاعِفُهُ﴾؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَهْمَا اجْتَهِدَ فَلَنْ يَبْلُغَ الْكَمَالَ فِي جَمِيعِ مَا أَمُرُ بِهِ؛ لِأَنَّ الدِّينَ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا فَهُوَ مَتِينٌ، (لَنْ يُشَادَّهُ أَحَدٌ إِلَّا غَلِبَهُ)⁽³⁾، فَفِي الْعُطْفِ هُنَا بَيَانُ نَقْصَانِ عَمَلِ الْعَبْدِ، وَالْمَغْفِرَةُ جَابِرَةٌ لِلنَّقْصَانِ، وَفِي الْعُطْفِ تَعْدِيدٌ لِكثْرَةِ الْعَطَاءَاتِ وَالْبَرَكَاتِ.

وَمِمَّا يُذَكِّرُ فِي دَلَالَةِ الْعُطْفِ الْإِشَارَةَ إِلَى التَّرْغِيبِ فِي الطَّاعَةِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَفِي ذَلِكَ جَلْبُ السُّرُورِ وَدَفْعُ الشُّرُورِ⁽⁴⁾.

دلالة التعبير بالفعل المضارع (يغفر):

استمرار المغفرة
لاستمرار
الذنوب

جَاءَ الْفِعْلُ مُضَارِعًا هُنَا؛ لِبَيَانِ التَّنَاسُبِ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ (يغفر) وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ ﴿يُضَاعِفُهُ﴾، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِمْرَارِ غُفْرَانِ الذُّنُوبِ مِنْ دُونِ تَوَقُّفٍ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى كَثْرَةِ الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ؛ لِتَوَالِي

(1) سيبويه، الكتاب: 4/ 217.

(2) للرازي، الجنى الداني، ص: 109.

(3) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، الحديث رقم: (39).

(4) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 136.

الغفران وتتابعه، وفي المغفرة إشارة إلى صفة الحِلْم التي ذُيِّتَ بها الآية ﴿حَلِيمٌ﴾.

نكتة إعادة شبه الجملة ﴿لَكُمْ﴾:

تكرار شبه الجملة ﴿لَكُمْ﴾ لإفادة تخصيص المغفرة بهؤلاء القوم، فكما كرّمهم بتخصيص المضاعفة فتمّ تكريم آخر بتخصيص المغفرة، وفي ذلك إشارة إلى بركات الإنفاق، وحلم الله وكرمه، مع رفع درجة هؤلاء المنفقين بقربهم من الله، وفيه توكيد بالتكرار⁽¹⁾؛ تمكيناً لحسن الجزاء، ومحو السيئات.

ويضاف إلى ما سبق أنّ التكرار ضرورة، وتظهر الضرورة عند عدم تصوّره؛ لأنّ الرابطة تضعف عندئذٍ بين عناصر الكلام⁽²⁾، فلا يُتصوّر أنّ يقال: (يضاعفه لكم ويغفر) من دون (لكم)؛ تكريماً لهؤلاء المقرّضين، وربطاً لأوصال التركيب، وفي التكرار تكميل اللذة وزيادة السُرور بالعطاءات الربّانية.

فائدة التذييل باسمي ﴿شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾:

ذُيِّتَ الآية بوصفَي ﴿شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ من باب التّناسب لما ورد في الآية؛ لأنّ ما قبل الشكر عطاءً من العبد بالقرض والإقراض، فكان الشكر في مقابلة العطاء، أمّا ﴿حَلِيمٌ﴾ فهو الذي يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء، فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم⁽³⁾، فكان مناسباً للمضارع ﴿وَيَغْفِرُ﴾، وكأنّ في الآية لفاً ونشراً، بذكر الصّفتين المناسبين؛ ففي أوّل الآية إنفاق وإقراض، وهذا يلزمه شكرٌ، وبعد الإقراض جاءت المغفرة لمحو السيئات، وهذا يلزمه حلمٌ من دون تعجيل بالعقوبة، فكان الوصف بـ ﴿حَلِيمٌ﴾، مع ملاحظة دلالة المبالغة في صيغتي ﴿شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ على الكثرة والتكرار مرّة بعد مرّة.

تـ
والـ
التّخصيص
ليـ
بيان التّكريم

مناسبة
الشّكور للقرض
والإقراض،
والحليم لعدم
معاجلته
بالعقوبة

(1) تمام حسان، البيان في روائع القرآن: 1/ 135.

(2) حسين رفعت، للوقعية في النحو العربي، دراسة سياقية، ص: 223.

(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 551.

التَّحْلِيَةُ بِالشُّكْرِ
قَبْلَ التَّخْلِيَةِ
بِالْحِلْمِ

سُرُّ تَقْدِيمِ «شُكُورٍ» عَلَى «حَلِيمٍ»:

قَدَّمَ السِّيَاقُ الْقِرَاءَتِي لَفْظَةَ «شُكُورٍ» عَلَى «حَلِيمٍ» فِي قَوْلِهِ: «شُكُورُ حَلِيمٍ» مِنْ بَابِ مِرَاعَاةِ التَّنَاسُبِ؛ فَقَدَّمَ «شُكُورٍ» لِمَلَا حِظَةِ الْقَرْضِ وَالْإِقْرَاضِ، وَتَلَاهُ «حَلِيمٍ» لِمَلَا حِظَةِ «وَيَغْفِرُ»؛ لِأَنَّهُ لَا يِعَاجِلُ بِالْعُقُوبَةِ، وَفِيهِ احْتِرَاسٌ بِذِكْرِ الْحِلْمِ؛ حَتَّى لَا يَظُنَّ ظَانٌّ بِأَنَّ اللَّهَ يَشْكُرُ الْمُتَغَفَّرَ، وَيَعَاقِبُ الْمُهْمِلَ الْمُقْصِرَ، فَكَانَ فِي ذِكْرِ الْأَسْمَاءِ بِهَذَا التَّرْتِيبِ مَلَا حِظَةُ هَذَا الْمَعْنَى، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيمُ لِمَلَا حِظَةِ رُؤُوسِ الْآيَةِ بَعْدَ «شُكُورُ حَلِيمٍ»، فَالْآيَةُ الْأَخِيرَةُ «الْحَكِيمُ»، فَكَانَ تَأْخِيرُ «حَلِيمٍ» لِرِعَايَةِ ذَلِكَ الْمَطْلَبِ أَيْضًا.

وَيُضَافُ إِلَى مَا سَبَقَ أَنَّ «شُكُورٍ» فِعْلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ مَبَالِغَةٌ تَلَطَّفُ لَهُمْ، فَسَمِيَ ذَلِكَ الثَّوَابُ شُكْرًا، وَجَعَلَ نَفْسَهُ شَاكِرًا، وَقَدْ أَوْمَأَ إِلَى هَذَا الْمَقْصِدِ إِتْبَاعُ صِفَةِ «شُكُورٍ» بِصِفَةِ «حَلِيمٍ»؛ تَنْبِيْهًُا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ حِلْمِهِ بِعِبَادِهِ، مِنْ دُونِ حَقِّ لَهُمْ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ⁽¹⁾.

دَلَالَةُ الْاِقْتِرَانِ بَيْنَ «شُكُورٍ» وَ«حَلِيمٍ»:

اِقْتَرَنَ اسْمُ (الشُّكُورِ) بِاسْمِ (الحَلِيمِ) مَرَّةً وَاحِدَةً، وَذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: «إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شُكُورٌ حَلِيمٌ»، وَاقْتِرَانُهُ بِهِ يَفِيدُ أَنَّ «شُكُورٍ» يَثِيبُ مَنْ أَطَاعَهُ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، «حَلِيمٍ» لَا يِعَاجِلُ مَنْ عَصَاهُ بِالْعُقُوبَةِ، بَلْ يُمْهِلُهُ وَلَا يَهْمِلُهُ. وَقِيلَ: «شُكُورٍ»؛ أَي: يَجْزِي عَلَى الْقَلِيلِ بِالكَثِيرِ، «حَلِيمٍ»؛ أَي: يَصْفَحُ وَيَتَجَاوَزُ عَنِ الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ⁽²⁾.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِقَوْلِهِ: «عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ» فِي هَذَا السِّيَاقِ:

فِي تَرْكِيبِ «عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ» فِي هَذَا السِّيَاقِ تَرْغِيبٌ أَيْضًا فِي الْإِنْفَاقِ؛ إِذْ أَعْلَمَهُمْ أَنَّ لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْ أُمُورِهِمْ شَيْءٌ،

إِظْهَارُ الْمُنَّةِ عَلَى
عِبَادِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ،
بِإِثَابَتِهِمْ وَعَدَمِ
مُعَاجَلَتِهِمْ
بِالْعِقَابِ

كِمَالُ عِلْمِهِ
ضَمَانٌ لِحَقُوقِ
خَلْقِهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28 / 291.

(2) سعد بن عبد الرحمن ندا، مفهوم الأسماء والصفات (بحث مجلة): 46 / 61.

يعلم الخفيّ منها والمُعلن، وما غاب عنهم فلم يَرَوْهُ، وما ظهرَ لهم فشهدوه، فذو العلم بهذه المثابة معاملته مضمونةٌ لا يُخشى ضياعُها ولا نسيانُها⁽¹⁾.

دلالة التعبير باسم الفاعل ﴿عَلِمَ﴾:

في التعبير باسم الفاعل ﴿عَلِمَ﴾ دلالةٌ على كمال العلم وعراقته، وأنه لا يعزُبُ عنه شيءٌ، سواء أكان حاضراً أم غائباً.

علمُ الله أزلِّي
محيطٌ بكلِّ شيء

نكتة ذكر (العلم) من دون (القدرة):

نكتة ذكر العلم ﴿عَلِمَ﴾ من دون القدرة (قدير أو قادر) أنَّ العزيز يدلُّ على القدرة، مِنْ عَزَّ إِذَا غَلَبَ، والحكيم على الحكمة، وقيل: العزيز: الذي لا يُعجزه شيءٌ، والحكيم: الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير، والله تعالى كذلك، فيكونُ عالماً قادراً حكيمًا جلَّ ثناؤه وعظُمُ كبرياؤه⁽²⁾.

العزيزُ عالمٌ
قادرٌ غالب

بلادة الطباق بين ﴿الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾:

بين لفظتي ﴿الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ طباقٌ، وفي الطباق جمعٌ بين النقيضين، وعالمُ النقيضين علمُه محيطٌ شاملٌ لكلِّ مخلوق، ففيه إيماءةٌ إلى الإحاطة التامة بكلِّ المخلوقات والموجودات. وعطفَ (الشهادة) على ﴿الْغَيْبِ﴾ لتحصلَ الدلالةُ عليها مرّتين؛ أولاً بالضرورة وثانياً بالمطابقة⁽³⁾.

الدلالةُ على
الإحاطة
والشمول

دلالة (أل) في ﴿الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾:

(أل) في ﴿الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ استغراقيةٌ؛ دلَّتْ على استغراقِ كلِّ غيبٍ وكلِّ شهادة⁽⁴⁾، وفي ذلك إشارةٌ إلى عراقة العلم وكماله بكلِّ غيبٍ وكلِّ شهادة.

استغراقُ كلِّ
غيبٍ وشهادة

(1) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير: 371 / 5.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 557 / 30.

(3) أبو العباس البسيلى، نكت وتنبهات في تفسير القرآن المجيد: 272 / 2.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 221 / 28.

بيان شرف
المعلوم

نكتة تقديم (علم الغيب) على (علم الشهادة):

قَدَّمَ الْغَيْبُ عَلَى الشَّهَادَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾؛ لبيان شرف المعلوم؛ لأنَّ علم الغيبيَّاتِ أعظمُ من المشاهدات⁽¹⁾، والتَّمَدُّحُ بِهِ أعظمُ، ومن نكت التَّقديمِ أَنَّ فِي غَيْبِهِ مَا لَا يَحْصَى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8]، فوجهُ تقديمِ الْغَيْبِ فِي الذِّكْرِ لِسَعَةِ عَالَمِهِ وَزِيَادَةِ خَطَرِهِ عَلَى الشَّهَادَةِ⁽²⁾، وَمِنْ نِكتِ التَّقديمِ تَقَدُّمُ الْغَيْبِ عَلَى الشَّهَادَةِ فِي الْوُجُودِ وَتَعَلُّقُ الْعِلْمِ الْقَدِيمِ بِهِ⁽³⁾، وَمِنْ نِكتِ التَّقديمِ بَيَانُ أَنَّ الْغَيْبَ وَالشَّهَادَةَ فِي عِلْمِهِ سَوَاءٌ، فَتَزَلُّ التَّرْقِي فِي اللَّفْظِ مَنْزِلَةً تَرَقُّ فِي الْمَعْنَى؛ لِإِفَادَةِ اسْتَوَائِهِمَا فِي عِلْمِهِ تَعَالَى، وَيُوضِّحُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [الرعد: 10]، فَصَرَّحَ بِالِاسْتِوَاءِ⁽⁴⁾.

سرُّ ذِكْرِ (الْغَيْبِ) وَلَا غَيْبَ يَغِيبُ عَنْهُ:

سرُّ ذِكْرِ (الْغَيْبِ) الْإِشَارَةُ إِلَى عِلْمِ الْبَشَرِ الْقَاصِرِ؛ فَعِلْمُ الْبَشَرِ هُوَ عِلْمُ شَهَادَةٍ، وَمَا غَابَ عَنْهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ، فَكَانَ مِنْ مَعَانِي (الْغَيْبِ) هُنَا الْغَيْبُ وَالْخَفَاءُ عَلَى الْبَشَرِ، أَمَّا عِلْمُهُ سُبْحَانَهُ فَيَسْتَوِي فِيهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ⁽⁵⁾.

دلالة تعدُّدِ ذِكْرِ أوصافه سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ:

الْغَرَضُ مِنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْوَارِدَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ الْإِشَارَةُ إِلَى كِمَالِ عَظَمَتِهِ تَعَالَى، مَعَ مَنَاسِبَتِهَا لِلتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ اللَّذَيْنِ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِمَا الْآيَاتُ السَّابِقَةُ كُلُّهَا؛ لِأَنَّ الْعَالَمَ بِالْأَفْعَالِ ظَاهِرِهَا وَخَفِيَّهَا لَا يَفِيْتُ شَيْئًا مِنَ الْجَزَاءِ عَلَيْهَا بِمَا رَتَّبَ لَهَا، وَلِأَنَّ الْعَزِيزَ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَالْحَكِيمَ الْمَوْصُوفَ

التَّغْيِيبُ
وَالتَّرْهيبُ

(1) الزركشي، البرهان: 3/ 253.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل: 4/ 100.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل: 8/ 233.

(4) الزركشي، البرهان: 3/ 254.

(5) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 9/ 5428.

بالحكمة لا يدعُ معاملة النَّاسِ بما تقتضيه الحكمة من وضع الأشياء مواضعها ونَوَظِ الأمور بما يناسب حقائقها.

نكتة ترك العطف بين هذه الصفات:

تُركَ العطفُ بين الأخبار المتعددة؛ لأنها صفاتٌ مجتمعةٌ في موصوفٍ واحدٍ، بينها شدةُ اتِّصالٍ وتلاحُمٍ، وكأنَّ الجميعَ في حكمِ صفةٍ واحدةٍ، والعطفُ بالواو يُشعرُ بالتغايرِ بين الصفاتِ، فيأتي حرفُ العطفِ (الواو) فيما تباعدَ من الصفاتِ؛ لأنَّه يصيرُ أمرًا مستغربًا، أمَّا في الصفاتِ القريبة فلا يؤتى بالعطف، فاقتضى ذلك تركَ العطف، والصفاتُ في الآية قَمَّةٌ في القرب لا البعد.

نكتة التعريف في ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

قال ربُّنا سبحانه: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ بالتعريف، ولم يقل: (هو عزيز حكيم) بالتشكير، ونكتة ذلك أنه أراد أن يقصرَ العزَّةَ في الحقيقة عليه وحده، ولا عزَّةَ لغيره، والحكيم هو الحاكم في الحقيقة، ولا حاكمَ سواه على وجه الحقيقة، فالله تعالى هو الذي يُعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيُؤْتِي الْمُلْكَ وَيَنْزِعُهُ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَبِيرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26]، إذن هو صاحبُ العزَّةِ، والحكمة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 269]، الحكَم: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرُّعد: 41].

نكتة الترتيب بين ﴿الْعَزِيزُ﴾ و﴿الْحَكِيمُ﴾:

نكتة الترتيب بين ﴿الْعَزِيزُ﴾ و﴿الْحَكِيمُ﴾ جاء جرياً على عادة القرآن في الترتيب بين العزَّة والحكمة، قالوا: لأنَّه عَزَّ فَحَكَمَ⁽¹⁾، ويضاف إلى هذه العادة أنَّ ﴿الْعَزِيزُ﴾ من صفات الذات،

شدة اتصال
الصفات
بالموصوف

قصر العزَّة
والحكمة على
الخالق وحده
قصراً حقيقياً

عادة القرآن
دوماً تقديم
(العزیز) على
(الحكيم) مع
تكميل الأوصاف
والأخبار

(1) فاضل السامرائي، لمسات بيانية، ص: 481.

و﴿الْحَكِيمُ﴾ من صفات الأفعال؛ وهو من باب تقديم السبب على المسبب؛ لأنه عَزَّ فَحَكَمَ⁽¹⁾.

دلالة المبالغة بصيغة (فعل) في قوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

تتمثل نكتة المبالغة في أمرين؛ الأول: التناسب بين الآيتين الكريمتين؛ فالآية السابعة عشرة، ذُيِّلَتْ بـ﴿شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾، وهذه الآية ذُيِّلَتْ بـ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، والثاني: الدلالة على قوَّة العِزَّة والحكم؛ فالعزیز لا يُغْلَبُ ولا يُقَهَرُ، والحكيم هو صاحب معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام⁽²⁾.

ولعلَّ في الصيغتين دلالة على أنَّه لا يحتاج قرضكم فهو العزيز الغني عنكم، وهذا مناسب لما قبله، أمَّا الحكيمُ ففيه إغاطة للكافر، فهو يضاعف للمؤمن بحكمة وإن اقرَّفت ما اقرَّفت، أمَّا الكافر فلا حظَّ له من عطاءٍ أخرويٍّ.

❖ **الفروق المَعْجَمِيَّة:**

القرض والدين:

أكثرُ ما يُستعملُ القرضُ في العين والورق، كأنَّ تأخذَ من مالِ الرَّجُلِ درهمًا لتردَّ عليه بدله درهمًا، فيبقى دينًا عليك إلى أنَّ تردَّه، فكلُّ قرضٍ دينٌ، وليس كلُّ دينٍ قرضًا؛ وذلك أنَّ أثمان ما يُشترى بالنَّسأ ديونٌ وليست بقروض، فالقرضُ يكون من جنس ما اقترض، وليس كذلك الدين، وقيل: الدين: ما له أجلٌ، وما لا أجلَ له فقرضٌ⁽³⁾.

(1) السيوطي، الإتقان: 45 / 3.

(2) الراغب، المفردات: (حكم).

(3) العسكري، الفروق اللغوية: 425، 426.

بيان التناسب
مع عراقة العِزَّة
والحكمة

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنَافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلْك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنَافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلْك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62: المجلد الثاني والستون، سورة المُنَافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلْك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

التقييم الدولي: 978-9948-640-02-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"